من وحى فلسطين

تأليف الأستاذ احمد رمزى بك

بقلم الاستاذ كامل السوافيرى

كانت مأساة فلسطين ، وما ترتب عليها من نتائج صدمة عنيفة للامة العربية ، وضربة قاصمة للكيان العربى دفعت الكتاب والمؤرخين لتحليل أسبابها ، وبحث نتائجها ومحاولة علاجها .

وانبرت اقلامهم تصور الفاجعة ، وتصف الكارثة ، وتلفت أنظار الساسة والزعماء فى الأقطار العربية إلى ما يتهدد العالم العربى من أخطار جسيمة بسبب قيام دولة اسرائيل التى انشأتها بريطانيا ، واحتضنتها امريكا واعترفت بها وجعلت منها دولة ذات حدود .

ومعظم هؤلاء الكتاب لم يكتبوا عن المأساة إلا بعد حدوثها ولم ينبهوا الأذهان إلا بعد ان وقعت الواقعة ، ودهمت الكارثة .

ولكن هناك كتابا كانوا بعيدى النظر ، ثاقبى الفكر ، درسوا المقدمات ، ورتبوا النتائج ، وتنبأوا بالأحداث قبل وقوعها ، وأحسوا بالخطر قبل حدوثه فكانوا هم الذين نبهوا الامم بما فى الجو من سحب ، وبصروها بما تضمر الليالى ، ونبهوها إلى السبيل الذى تنهجه لدرء الخطر ، والحيلولة دون حدوثه فلم تشعرهم الآذان الصاغية ولا القلوب الواعية وفى طليعة اولئك الكتاب الأماجد علم من اعلام الأدب فى مصر ، وحجة من افذاذ التاريخ فى هذا العصر ، وركن من أركان النهضة العربية هو الأستاذ احمد رمزى بك الذى اتاحت له خبرته ودرايته ان يلم بالمشكلة الفلسطينية ، ويستقصى اسبابها ودوافعها ويتنبأ بهذه النتيجة التى وصلت إليها حيث كان فنصلا عاما لمصر فى فلسطين وشرقى الأردن مدة تقرب من ثلاثة أعوام استطاع فى غضونها ، وهو العالم الأديب ، ان يدرس ويحقق بعقل المؤرخ ، وخيال الأديب ، ونظر السياسى نواحى المشكلة وأخذ يومئذ [1] ترسل الصرخات فى اجواء العالم العربى ، ويذيع المقالات ، ويذيع الأحاديث والمحاضرات ايوقظ الأمة من سباتها ، ويحذر الساسة والحكام فى هذا الشرق العربى من الخطر الصهيونى الرابض فى فلسطين ، ويهيب بأشبال العروبة ان يستأصلوا شأفته ، قبل ان تمتد جذوره ، ولم يكن ذلك الخطر يومئذ قد تفاقم امره أو استفحل شره على الصورة التى نراها الآن

ثم جمع الكاتب الفاضل تلك المقالات ، وزاد عليها ابحاثا لم تنشر ونسقها واخرجها كتابا سماه من وحى فلسطين .

وقد صدر الكتاب بمقدمة جليلة لمؤرخ نابه الذكر ، وسياسى عظيم الخطر هو العلامة الكبير الاستاذ محمد توفيق السلحدار بك .

وقد تصفحت الكتاب فوجدت المؤلف يحلق فى اجواء بعيدة ، ويتنقل فى رياض متعددة ، ويطرق نواحى مجهولة ، ويضىء جوانب مظلمة ويقدم للقراء طعاما شهيا ، وماء نميرا من أدب قيم وفن رفيع ، وحكمة سامية وفلسفة عالية وتوجيه سديد وارشاد نافع ، فتقرأه أديبا يعلو خياله ومؤرخا يصدق حكمه ، وجغرافيا تتضح مصوراته ، وفيلسوفا تصدق نظرياته ، ومرشدا تؤثر عظاته ، وعالما يغوص بك فى أعماق المجهول .

فهو لا يكتفى بسرد الوقائع — وتسجيل الأحداث ، وإيراد الحجج التى تؤيد أقواله ، وتدعم آراءه ، ولا يقف عند رواية الحوادث وتسلسلها بل يحلل الدوافع ، ويجلى ما غمض ، ويوضح ما استبهم حتى لترى الحقائق ظاهرة أمامك ظهور الشمس فى رائعة النهار .

ولعل أهم ظاهرة برزت فى ثنايا سفره هى الصراحة المطلقة التى اتسم بها أسلوبه حين نعى على الشرق انحلاله وتخاذله ، وتهافت ابنائه على المصالح الذاتية ، وتكالبهم على المنافع الشخصية مما أضعف عندهم المثل العليا والقيم الروحية ، وجعلهم فى معزل عن ضياء العلم ، ونور الحضارة فلم يجاروا العصر الذى يعيشون فيه ، ولم يسايروا الزمن بل ظلوا جامدين أمام عصر الآلة ، قانعين بالسير على الخطوات التى عفا عليها الزمن .

---

(١) من سنة ١٩٣٥ سنة ١٩٣٧

(ان الشرق العربي الذي عاش مدة من الزمن تتناوبه السياسات والأهواء المختلفة نتيجة لتنازع الدول الكبرى والذي استعمر أهله ينعمون بتجانس في الميول والآمال والأغراض فقنعوا بالسير على خطوات الحضارة الزراعية البطيئة والاكتفاء بالقليل قد ووجه بحقيقة جديدة هي ظهور الصناعة الآلية المعتمدة على العلم والمال .

إن مجيء الصهيونية تستعمر بلاد العرب كان بمثابة هزة عنيفة لهذا الشرق النائم فهل تكفي لايقاظه من سباته حتى يقف ويستعد لمواجهة هذا الخطر الجديد ليدفعه بالقوة الى تتفق مع تاريخه القديم وأثره في قيادة هذا العالم) (١)

وهو حين ينعى على قومه تخبطهم في خضم السياسة ، وتيههم في مجاري الضلالات وارتجالهم في علاج المشكلات ، لا يحاول تثبيط الهمم ، ولا اضعاف العزائم بل يريد ايقاظ روح العمل ، وبث الكفاح ، ويدعو إلى استجلاء العظة والاعتبار . بالدروس التي تلقنها هذا الشرق خلال ربع قرن من الزمان .

ويقسو قلم الكاتب ، وتلتهب عباراته حين ينكر على الشرق اهمال الكفاءات العلمية والآلات الحديثة التي تمخض عنها القرن العشرون مع ان الحرب في هذه الأيام صراع فكري ، ونضال عقلي ، قبل ان تكون حرب طائرات ودبابات وقنابل ومتفجرات .

(اننا ازاء قوة تتطلب حشد كل ما لدينا من وسائل تحتم علينا ان نقف لمحاربتها بعقل ، فكر وإرادة ولا يكون ذلك بغير العلم . العلم الذي هو قوة ثورية هائلة والذي يمكن صاحبه من القدرة والغلبة والانتصار . نعم سيكون العلم سلاحا قاطعا فيصلا لحل مشاكلنا معهم)

ويشفع للكاتب في قسوته صدور كلامه عن قلب مفعم بالوطنية الصادقة ، زاخر بالاخلاص للعروبة ، فياض بالإيمان الثابت . ولذا نجده يرسم الطريق للوثبة العربية ، والنهضة الاسلامية ، مذكرا سكان هذا الشرق بمجدهم الغابر ، وعزهم السالف وقوتهم المرهوبة يوم اظلتهم جميعا راية الاسلام ، ورفرفت عليهم اعلام الوحدة ، وجمعتهم أواصر الدين .

(١) ص ٩

ونورد هنا بعض الأبحاث التي تناولها الكتاب .

١ — فلسطين بين العرب والصهيونية ٢ — اثر الكفاح من أجل فلسطين في يقظة العرب ٣ — رأس النقب وخليج العقبة ٤ — مصر العربية ٥ — الفكرة العربية وحاجتها لمذهب سياسي فلسفي ٦ — العالم العربي والسياسة الدولية ٧ — وحدة العالم الإسلامي في البحثين الأول والثاني يعرض الكاتب تاريخ الحركة الصهيونية والدوافع إليها ، والأهداف التي ترمي اليها . اليهودية العالمية من انشاء وطن لليهود في فلسطين ، ودعائم الاقتصاد اليهودي والوكالة اليهودية ، وموقف بريطانيا من العرب واليهود . والصناعة اليهودية في الشرق . ثم يعقد مقارنة بين المعسكر العربي والمعسكر الصهيوني والقوة التي يستند إليها الجانبان . ومدى ما يمكن لكل قوة ان تفعله ، وأساليب الحياة عند الجانبين ، وإظهار الخطر الصهيوني ، ونظرة اليهود للشرق .

يستهل المؤلف البحث الأول ببيان أهمية موقع فلسطين الجغرافي ومركزها الحيوي ، وتوسطها بين اجزاء العالم العربي فيقول : [انه يتوسط العالم وتظهر أهميته للعرب لأنه يقسم بلادهم شطرين الشطر الآسيوي والشطر الافريقي فهو يتحكم في مصير الأمة العربية ، وبوسعه ان يحول دون تحقيق اهداف الجامعة العربية] وينتقل بعد ذلك إلى بيان الروابط المتينة والأواصر القوية التي تجمع بين مصر وفلسطين وهي ناحية على جانب من الأهمية فيقول (من العبث الكلام عن هذا فهو معروف وثابت ، وأهم منه اننا في مصر ننسى أو نحاول أن ننسى حقيقة ثابتة واضحة هي ان مصر وفلسطين عاشتا أكثر من ثمانية قرون معا (١) ولا يذهب المؤلف إلى العهود الفرعونية بل يقول (إن فلسطين عاشت مع مصر طوال الأيام الطولونية والأخشيدية والفاطمية وفي عهود الدول الأيوبية والتركية ودولة الجراكسة) (٢)

ويتحدث عن الخطر الصهيوني ، ويوجه اللوم للذين يقللون من شأنه ، ولا يصارحون الأمة بحقيقته لتقاومه فيقول :

(والحق ان الاكتفاء بالنبوءات لم يعد يكفي في حياة عالم دائم الحركة والتطور والتنقل ومع ذلك وقف جماعة من أهل هذا الشرق يحاولون الأقلال من شأن الحركة الصهيونية ومراميها

(١) ص ٣ (٢) ص ٤

واهدافها وكان الواجب عليهم وضع الحقائق ظاهرة واضحة أمام جماهير الشعوب العربية ، وكان فرضا عليهم تفتيح الأذهان والعمل على جمع الشمل وحشد القوى المبعثرة ، وتركيزها جميعا نحو غرض واحد هو محاربة الصهيونية بأسلحة القرن العشرين . وكان أول عبء على المخلصين هو تفهم هذه الحركة وبرامجها ثم الانتقال مرة واحدة إلى العمل المجهد الشاق وهو الأخذ بأسلحة الخصم لامكان التغلب عليه ، ولم يكن هذا السلاح سوى الأخذ بأنظمة جديدة لكياننا الاقتصادى أى الخروج من الحياة التى ألفناها إلى تنسيق نظام صناعى ومالى وثقافى يتفق مع القرن الذى نعيش فيه لكى ندخل المعركة ونحن على قدم المساواة فى التنظيم والتعبئة والتسليح وهذا ما لم نوفق (١) فى الوصول إليه) وعن نظرة الصهيونية للشرق وسخريتهم من استقلال شعوبه يستشهد بما أدلى به موسى شرتوك وزير خارجية اسرائيل حاليا ورئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية فى عهد الانتداب أمام لجنة التحقيق سنة ١٩٤٦ .

(البلاد العربية فقيرة ، وعدد سكانها قليل ، ولا صناعة فيها ، وزراعتها متأخرة جدا ومواردها غير مستغلة ، فاستقلالها السياسى إذن لا قيمة له ولا معنى لأنه لا تطور ولا نماء فيها والاستقلال الحقيقى هو استمرار النماء والبناء والتطور (٢))

وعن رأيهم فى أقطار الشرق يقول : (ان هناك حقيقة يجب ان ندركها تماما وهى ان الصهيونيين ينظرون للشعوب العربية والشرقية كافة نظرة الأوروبى للشعوب التى لم تنضج بعد ولم تستكمل وعيها وفهمها لحقيقة الأشياء) (٣)

وهكذا يمضى الكاتب فى كتابه متنقلا من بحث إلى بحث ومن موضوع إلى آخر فى أسلوب يمتاز برشاقة الألفاظ ، ورصانة الكلمات . ، وجمال التعبير ، ودقة الأداء ويقدم للقراء ثمار دراسته العالية ، وثقافته الواسعة .

وبعد فأظننى قد قدمت للقراء لمحة عن هذا السفر الجليل وما به من عرض تاريخى ، وتوجيه سياسى ، ولا يسعنى فى ختام كلمتى إلا ان أعرب لحضرة المؤلف الفاضل عن تقديرى لمجهوده العلمى فيما رجع إليه من اسانيد ، وما قرأ من مراجع وأوجه لحضرته جزيل شكرى على ما قدم لأمته من آراء ، وما رصع به جبين العروبة من حلى ، وما اسبغه للوطن العربى من حلل لن تبليها الأيام .

كامل السوافيرى

ليسانس كلية دار العلوم — جامعة فؤاد الأول

(١) ص ١٠
(٢) ص ١١
(٣) ص ٣٧

وزارة المعارف العمومية

تقبل العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكى بمصر ، عن طريق البريد أو بوضعها باليد فى الصندوق المخصص لذلك بإدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشر من ظهر يوم السبت الموافق ٢٢ / ٤ / ١٩٥٠ عن توريد أدوات التعليم — أجهزة جغرافيا — مصورات اللازمة لمدارس الوزارة لسنة ١٩٥٠ و١٩٥١ ويمكن الحصول على الشروط وقوائم المناقصة من مراقبة التوريدات بشارع صفية زغلول بالقاهرة نظير مبلغ ٢٥٠ مليما خلاف أجرة البريد

٤٤٧١